الآراء الواردة في الصفحة تعبر عن وجهات نظر كتابها ، وقد لا تتفق بالضرورة مع وجهة نظر الجريدة

هل الصدام المحتمل بين الإسلام والغرب أم بين المسلمين والغرب؟

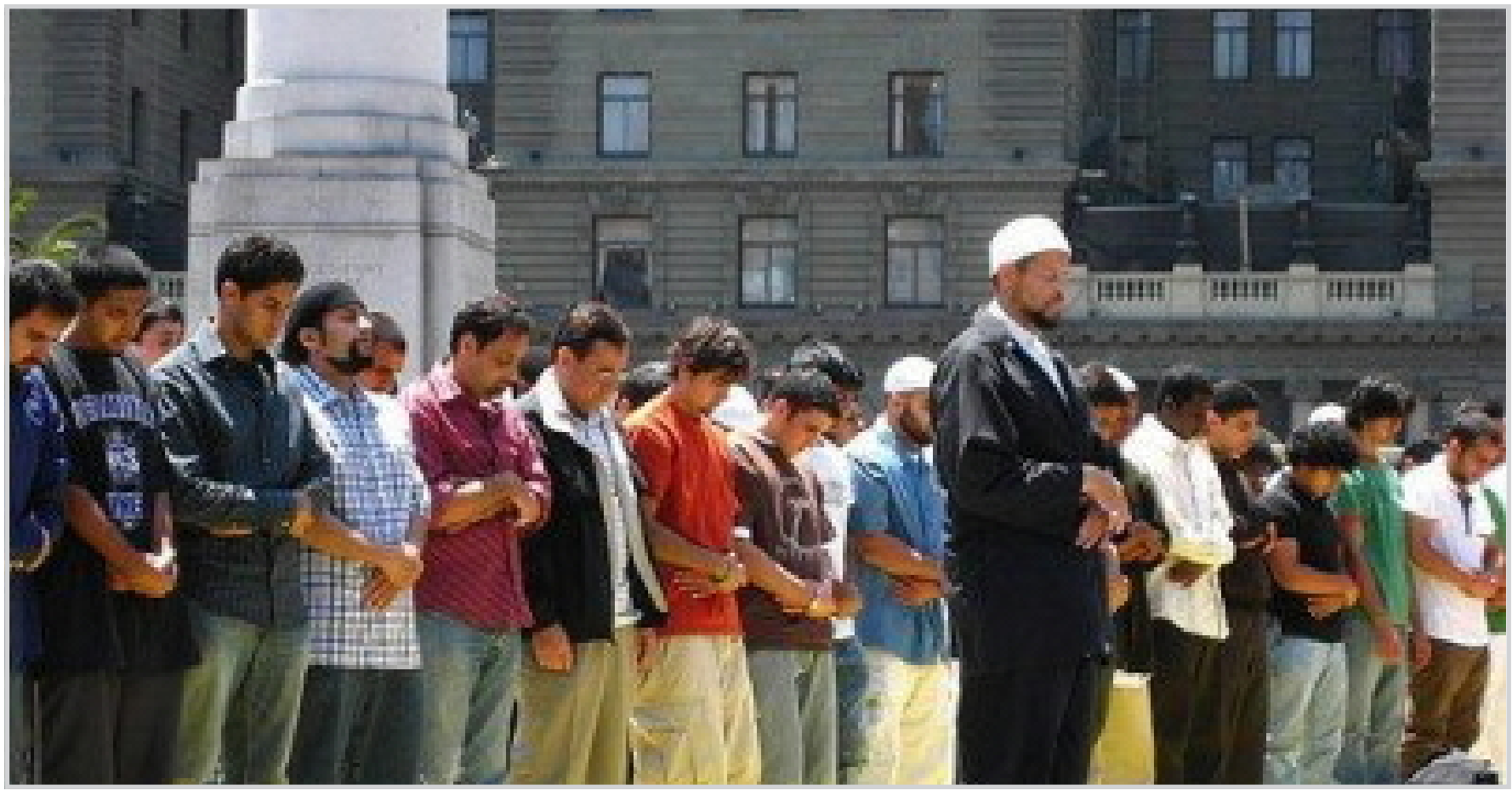

المسلمون في اوربا

د. شاكر النابلسي

أصبح الصدام بين الإسلام والغرب، كما يقوره رجال الدين من الأصوليين، أو بين بعض المسلمين الأصوليين وبين القيم الأخلاقية والسياسة الغربية، كما تقوره فئة معينة من العقلانيين العرب الذين التأموا أخيراً، وكونوا رابطة لهم في باريس، أطلقوا عليها "رابطة العقلانيين العرب"، وأنشأوا موقعاً مهماً لهم (الأوان) على الانترنت، حيث جاء متميزاً ورفيع المستوى من الناحية العلمية والموضوعية والالتزام الفكري وحرية الرأي والرأي الآخر. كما بدأوا يصدرون مجموعة من الكتب التنويرية المؤلفة من المفكرين العقلانيين العرب، والمترجمة من الفكر الغربي التنويري. وكل هذا يذكرنا بحركة التنوير الإسلامي الذي قادها من باريس أيضاً جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده، من خلال مجلتهم (العروة الوثقى) في نهاية القرن التاسع عشر (١٨٨٤).

أسباب الصدام المحتمل

والصدام بين الإسلام والغرب طلب ملح وواضح من بعض الكتاب والمفكرين الغربيين، ينادون به ويتوقعونه في أي يوم قريب. وهو بهذا توجه غربي.

أما الصدام بين بعض المسلمين والغرب فهو استحباب واضح من بعض الكتاب وعناصر الأصولية الدينية.

فهل سيكون هناك صدام بين الإسلام والغرب في المستقبل؟

وإذا وقع مثل هذا الصدام في يوم ما، فمن سيكون سببه؟

السبب سيكون بوضوح، هو الآتي:

١- إن الغرب لم يفرق بين الإسلام كدين يسعى لاحتواء منجزات العصر، وبين بعض المسلمين المتعصبين.

٢- إن الجماعات الإسلامية الأصولية المتشددة، قد حاولت الوصول إلى كراسي السياسة، تحت مظلة الإسلام، واستغلال هذه المظلة لأغراضها الخاصة، وإيذاء مصالح الغرب في الشرق.

الصراع بين الحضارات وليس بين الأديان

يؤكد بعض الباحثين أن الصراع - الذي قد ينشب مستقبلاً - ليس بين الأديان، ولكنه سينشأ بين الحضارات؛ أي بين الحضارة الغربية والحضارة العربية - الإسلامية.

ولكننا نعلم، أن (الحرب الباردة) أو الصراع الحضاري، ينشأ بين قوتين حضاريتين متكافئتين متنافستين على السيطرة على أكبر مساحة ممكنة من العالم، ومسلحة بأدوات العصر، وعلومه، وتقنياته.

فما قوة الحضارة العربية-الإسلامية، التي تستعمل الآن أدوات معرفية وعلمية قديمة، مضى عليها أكثر من عشرة قرون، ولم تتجدد، منذ أن أغلق السلف باب الاجتهاد، ومنع الخلف من فتحه في القرن الثالث عشر الميلادي، وقبل سقوط الدولة العباسية الثانية، وقتل الخليفة المستعصم بالله ١٢٥٠م من قبل المغول، واحتلال بغداد؟

وأي صراع حضاري يمكن أن يقوم به العرب والمسلمون الآن؟

وما التهديد الحقيقي الذي تمثله الحضارة العربية-الإسلامية الآن، لمصالح الغرب في الشرق؟

فلا الصناعة العربية-الإسلامية تنافس الصناعة الغربية.

ولا التجارة العربية-الإسلامية تنافس التجارة الغربية.

ولا الاقتصاد العربي-الإسلامي ينافس الاقتصاد الغربي.

ولا العلوم العربية-الإسلامية في مختلف المجالات تنافس العلوم الغربية.

ولا الصناعات العسكرية العربية-الإسلامية تنافس الصناعات الغربية.

ولا التعليم ومؤسساته العربية-الإسلامية تنافس المؤسسات الغربية.

ولا الجيوش وقوتها العربية - الإسلامية تنافس الجيوش الغربية.

ولا الثقافة العربية-الإسلامية تنافس الثقافة الغربية.

فكيف ستكون الحضارة العربية-الإسلامية قادرة على الصراع مع الحضارة الغربية، وهي لا تملك من أدوات الحضارة الحديثة ومن علومها وفنونها وآدابها وصناعتها وتجارتها شيئاً يذكر؟

حضارة ماضية ضد حضارة حديثة

إننا نسمع ونقرأ من حين لآخر، وبلهجة متعالية جداً من جراء نفخ الذات، ونفش ريش الطواويس فينا، من أننا نملك من الحضارة والنماذج السياسية والاقتصادية والاجتماعية الشيء الكثير لكي نقدمه للعالم. ومن أننا - مثلاً - يجب أن نطرح "النموذج الإسلامي الجاذب" في العالم وخاصة في آسيا الوسطى التي غادرت الشيوعية وحطمتها بالأمس، ولا بد أن تكون الديمقراطية وحقوق الإنسان، هي ما نقدمه لشعوب هذه البلدان الإسلامية.

والسؤال هو:

ما دمنا نملك كل هذا الثراء الإنساني السياسي والاقتصادي والاجتماعي الصالح للتطبيق في العصر الحديث، وهو "النموذج الإسلامي الجاذب" كما يصفه أحد الباحثين (محمد الرميحي)، والقول بأن "لدينا الشيء الكثير مما نعطيه، ليس على صعيد الدول وحدها ولكن على صعيد الهيئات الإسلامية الناشطة في أكثر من مكان على اتساع رقعة الكرة الأرضية"، فلماذا لم نطبقه على مجتمعاتنا الحاضرة، لنكون بذلك الأنموذج المُستحب، والمثال المُطبق، والأمثولة المُبتغاة للآخرين من المسلمين الباحثين عن الإسلام المعاصر التطبيقي، وليس إسلام النصوص فقط؟

فكيف يمكن أن يُعطي فاقد الشيء، وفاقد الشيء لا يعطيه؟

وكيف يمكن أن نكون النموذج الجاهز، ونحن لا نملك هذا النموذج، وأن أحوالنا الحالية إنسانياً واقتصادياً واجتماعياً وعلمياً، لا تسر صديقاً، أو عدواً؟

مكمن تهديدنا الحضاري للغرب

إذن، أين مكمن التهديد الحضاري الذي سينتج عنه صراع حضاري بين الشرق والغرب مستقبلاً؟

هل هو الدين الإسلامي بحد ذاته كدعوة إنسانية أخلاقية رفيعة، هو مكمن الخطر المتمثل للغرب، والذي يصفه بعض الأصوليين الغربيين المتشددين، بأنه أخطر من الشيوعية السابقة؟

لا نظن أن الغرب ضد أية دعوة دينية أخلاقية، بقدر ما هو ضد أية دعوة سياسية إرهابية، تهدد مصالحه، في أي منطقة من مناطق العالم.

ولو كان الغرب ضد الإسلام كدعوة دينية إنسانية أخلاقية، لما دافع عن المسلمين كما لم يدافع عنهم أي مسلم آخر، وكما لم تدافع عنهم أية دولة إسلامية أخرى، حتى وإن كانت تملك القوة والاستعداد والإمكانية للدفاع عنهم. والمثل القريب لهذا هو ما حصل في يوغسلافيا بين الصرب والبوسنيين في عام ٢٠٠٠.

صحيح أن للغرب مصالح كثيرة للدفاع عن المسلمين ضد الصرب المسيحيين، وهو الغرب المسيحي الذي كان أولى به أن يصمت ويغض الطرف على الأقل، عما يجري هناك. وأن أهم مصالحه التي كان يدفع من أجلها نصف مليار دولار يومياً أثناء قصفه للصرب دفاعاً عن البوسنيين المسلمين، هي:

١- حماية استثمارات الغرب المالية والصناعية والتجارية الكبيرة، التي تمت في يوغسلافيا وفي دول أوروبا الشرقية كذلك، والتي بلغت عشرة بالمائة من الدخل القومي لهذه البلدان.

٢- القضاء على قيام النزعات القومية المختلفة في أوروبا الشرقية وآسيا الوسطى، خوفاً من قيام صراع عسكري مسلح نتيجة للصراع القومي مما يهدد مصالح الغرب التجارية والصناعية والمالية في هذا الجزء من العالم المهم والغني بموارده الطبيعية، وبوعوده التجارية المستقبلية، حيث تعتبر آسيا الصغرى وخاصة جمهورية تركمانستان على سبيل المثال، من المصادر الرئيسية لليورانيوم المستعمل في صنع القنابل النووية.

٣- تقوية وتوسيع حلف الناتو، ودعوة دول أوروبا الشرقية بطريقة غير مباشرة لدخول هذا الحلف، لما أظهره هذا الحلف من قوة ومقدرة عسكرية في هزيمة بقايا الديكتاتورية في أوروبا الشرقية، والتي تمثلت بالإطاحة العسكرية والسياسية بالديكتاتور سلوبودان ميلوسفيتش Milosevic، وتهيئة الأجواء لانتخابات ديمقراطية، أسفرت عن نجاح ساحق لزعيم المعارضة كوستنيكا Kostunica .

ولكن الغرب لم يقتصر على هذا كله، وإنما أبدى تعاطفاً إنسانياً نحو المسلمين ومساعدتهم في الغذاء والكساء وتحمل الشقاء، ووقفت الصحافة الغربية ضد الصرب وغوغائيتهم موقفاً إعلامياً عظيماً.

لماذا الكيل بمكيالين؟

وللقارىء أن يسأل:

ما بال الغرب يقف من مسلمي البوسنة والهرسك هذا الموقف الإنساني العادل المُشرف واللائق، ولا يقف من الفلسطينيين في الأرض المحتلة، وهم المسلمون أيضاً هذا الموقف، بل يقف إلى جانب المحتل والمعتدي والأقوى، وهو إسرائيل؟

ونعود من حيث بدأنا ونقول، إن هذين الشاهدين اللذين حدثا في عام ٢٠٠٠ (مأساة البوسنيين ومأساة الفلسطينيين في انتفاضة الأقصى) لأكبر دلالة وبرهان على أن الغرب لا يتصرف على أساس ديني ولكنه يتصرف على أساس حماية مصالحه، وعلينا أن نُسقط هذه الأوهام.

فهناك في البوسنة كان المسلمون. وهنا في فلسطين كان المسلمون.

فلماذا اختلف الموقف الغربي برغم أن الإسلام هنا وهناك كان واحداً؟

الجواب البسيط الذي لا يحتاج إلى فهم عميق هو:

إن إنقاذ المسلمين في البوسنة والهرسك كان ليس بسبب أنهم مسلمون، ولكن لأن قتلهم والانتصار عليهم من قبل المسيحيين كان يعني نشوء النزعات والعصبيات القومية في أوروبا الشرقية، ما يعني تهديد مصالح الغرب، الذي يسعى إلى القضاء على هذه النزعات والعصبيات التي تحول من دون عولمة العالم، وتحويله إلى سوق تجارية واحدة مفتوحة الأبواب ومشرعة النوافذ. وليس كما قيل من أن "الغرب يشارك العالم الإسلامي موقفه من المذابح والمجازر التي يعيشها المسلمون هناك، وأن المبادرة الإسلامية لا بد أن تكون السباقة".

وهذا ليس صحيحاً. فالموقف الغربي من هذه المجازر مختلف تماماً عن موقف الدول الإسلامية، الذي لم يتعد الشجب والتنديد والتهديد، وبعض المساعدات الغذائية من التمر واللبن والبطانيات. وأن الدول الإسلامية لم تطلق طلقة واحدة في هذه المعارك. وأن الغرب هو الذي تحمل تبعة الانتصار للمسلمين، ودفع نصف مليار دولار يومياً تكلفة لقوات حلف الناتو. وكانت له مبرراته في ذلك، وهي ما شرحناه قبل قليل. أما أهم مظاهر الاختلاف بين الموقفين الغربي والعربي - الإسلامي فهي:

١- إن الغرب المسيحي كان يدافع عن المسلمين ضد المسيحيين، وإن الشرق المسلم كان يدافع عن المسلمين ضد المسيحيين.

٢- إن للغرب مصالح تجارية ومالية واستثمارات صناعية يدافع عنها، وأن لا مصالح لدول العالم الإسلامية بالمقابل، غير العاطفة الدينية تجاه البوسنيين.

٣- إن موقف الغرب من هذا الاقتتال كان محسوباً بالأرقام (الاستثمارات والعوائد) بينما موقف الدول الإسلامية كان محسوباً بالعواطف (الفزعات والقصائد، ودعوات التنديد والشجب والاستنكار).

٤- إن الغرب لم يكن يدافع عن دين أو معتقد أو أيديولوجيا يؤمن بها، بل العكس من ذلك فقد وقف إلى جانب دين يعتبره بعض من في الغرب عدواً لدين الغرب. في حين أن الدول الإسلامية كانت تهدد وتتوعد وتشجب وتندد بهذا الاقتتال من منطلق ديني، ومعتقد وأيديولوجيا.

٥- إن موقف الغرب من هذا الاقتتال قدم مثالاً رائعاً للوحدة الغربية من خلال حلف الناتو، وقوته، وقدرته على ضرب المعتدي. وأن العالم الإسلامي قدم أسوأ مثال للوحدة الإسلامية غير القائمة إلا في النصوص، من خلال موقف الضعف، وعدم امتلاك القدرة على معاقبة المعتدي وكسر يده. وتكرر موقف الدول الإسلامية نفسه من "انتفاضة الأقصى". فلم ينل هذه الانتفاضة غير التهديد والوعيد والشجب والتنديد من قبل العرب والمسلمين. في حين وقف الغرب إلى جانب المعتدي لأن مصلحته مع المعتدي، وليس مع المعتدى عليه، على عكس ما كان قائماً في الصرب. وإنقاذ المسلمين في فلسطين وحمايتهم لا تمثل مصلحة للغرب بقدر ما تمثل مصلحتهم الوقوف إلى جانب إسرائيل، التي تعتبر حمايتها حماية لمصالح الغرب داخل الغرب نفسه وخارجه.

خلاف الغرب مع بعض المسلمين وليس مع الإسلام

ولو تساءلنا الآن:

ما سر الخلاف بين إيران المسلمة في الماضي والحاضر وبين الغرب الآن، لكان الجواب بكل بساطة وسذاجة أيضاً، أن إسلام إيران أيام عهد محمد مصدق (١٨٨١-١٩٦٧) غير إسلام إيران أيام الشاهنشاهية، وغير إسلام إيران أيام الخمينية؟ فإسلام إيران أيام عهد مصدق وفي العهد الخميني كان-وما زال - يمثل تهديداً واضحاً لمصالح الغرب في المنطقة، ليس من قبل الإسلام كدين وكدعوة أخلاقية، ولكن من قبل دعاته وحاملي لوائه ومستغلي غطائه. وأن إسلام إيران أيام الشاهنشاهية كان يمثل حماية لمصالح الغرب في المنطقة، برغم أن إسلام إيران منذ قرون طويلة كان هو نفسه لم يتغير، ولم يتبدل. والمعروف أن مصدق رأس الحكومة الإيرانية (١٩٥١، ١٩٥٣) ، وقاد واحدة من أخطر المعارك الإسلامية مع الغرب في القرن العشرين. ونقول الإسلامية، لأن مصدق تلقى دعماً وتأييداً من آيات الله في ذلك الوقت من عام ١٩٤٧، وما بعد ذلك، وعلى رأسهم آية الله كاشاني ومنظمة "فدائيي إسلام" لتهديد مصالح الغرب - لكونه دفع البرلمان الإيراني على الموافقة على تأميم النفط في إيران ومصادرة المصالح الغربية. وهو هنا، يذكرنا بإسلام مصر في عهد عبد الناصر وإسلام مصر في عهد السادات ومبارك، وقبل ذلك في العهد الملكي. وكيف أن الغرب كان متصالحاً مع مصر الإسلامية طيلة هذه العهود ما عدا عهد عبد الناصر الذي هدد مصالح الغرب وأرقه. وكذلك، فمن المعروف أن الغرب وقف موقفاً صلباً وثميناً إلى جانب الشاه محمد رضا بهلوي (١٩١٩-١٩٨٠) في صراعه مع محمد مصدق ومعارضته للتأميم وتهديد المصالح الغربية. ولولا جهود الغرب وخاصة المخابرات الأمريكية وأموالها في إيران لما استطاع الشاه أن يتغلب على خصمه، ويعتقله، ويحاكمه، ويسجنه.

أوهام الصراع الديني

فهل أدركنا بعد هذا كله، علاقة الغرب بالإسلام، وكيف ينظر الغرب إلى الإسلام، ومن أي الزوايا يحدد هجومه أو دفاعه عن المسلمين، وما احتمالات وأسباب الصراع المستقبلي بين الغرب والإسلام؟

إن الصدام الوهمي والمتخيل بين الشرق والغرب لا لشيء، إلا لأن الغرب مسيحي والشرق مسلم، وأن صراع الشرق مع الغرب هو مجرد صراع ديني، لا يعني إلا الوهم الكبير، الذي ما زال يعشش في أذهان الكثيرين من المسلمين الأصوليين الساعين إلى السلطة السياسية، عن طريق الدين، وتحت مظلته. والتي سنتعرف على أساليبها وطرائقها في الأسبوع القادم، إن شاء الله.

آراء وافكار
Opinions & Ideas

ترحب اراء وافكار بمقالات الكتاب وفق الضوابط التالية:
١. لا تزيد عدد كلمات المقالة عن ٧٠٠ كلمة
٢. يذكر اسم الكاتب كاملا ورقم هاتفه وبلد الاقامة
٣. ترسل المقالات على البريد الالكتروني الخاص بالصفحة:

Opinions112@yahoo.com

إخوة يوسف.. لا اخوة الإسلام

بقلم: سعيد الحمد
كاتب واعلامي من البحرين

لا اعتراض لدينا ونحن نقرأ سيرة الإخوان المسلمين ان يتحالفوا سياسيا مع الملك فاروق وان يسيروا في ركبه فهذا خيارهم وهذا قرارهم، ولكننا سنكتشف من خلال الوقائع المرصودة والموثقة انهم كانوا يخدعون وكانوا يخونون حليفهم الملك بل كانوا يخططون للتآمر عليه والاطاحة به. لا نقول هنا كلاماً سردياً وانشائياً خيالياً، ولكنها حقائق البحوث والدراسات والتواريخ والارقام التي تثبت ان اخوة يوسف (لا اخوة الاسلام) لا امان لهم. في نهاية الثلاثينيات يلتقي امامهم حسن البنا بالملك فاروق في سيدي جابر بالإسكندرية وسط تظاهرة اخوانية حاشدة تهتف باسم الملك وليؤكد البنا على (امل الإخوان المسلمين في جلالة الملك المسلم). هذا ما تناقلته الصحف وما زال موثقا ومسجلا بالتفاصيل الدقيقة لمن يريد الاطلاع على المزيد.. ولكن نفس الصحف والمجلات ونفس الوثائق تكشف بعد سنوات قليلة وخلال ذروة تحالف الإخوان مع القصر عن اكتشاف السلطات الملكية معسكرا سريا للتدريب العسكري في جبل المقطم تابعا للإخوان المسلمين ويضم مخزنا كبيرا للاسلحة والذخيرة الثقيلة والمتطورة فانتبهت السلطات وانتبه القصر لخطورة الموقف وبدأوا يرصدون حليفهم الإخواني. وفي فبراير ١٩٤٨ اشترك الإخوان المسلمون في عملية اغتيال الامام يحيى ملك اليمن، وهو الحدث الذي هز عرش الملك فاروق مدركا ان نمو الجماعة قد صاحبه نمو جهازها العسكري. فاذا كان اخوة يوسف لا اخوة الاسلام يخططون في الاربعينيات من القرن المنصرم للانقلاب على حليفهم الكبير الملك فاروق فماذا نتوقع منهم.. كيف نصف سياسيا واجتماعيا مؤامراتهم.. وكيف نفهم تحالفاتهم التي يظهرون فيها خلاف ما يبطنون هل هي انتهازية ووصولية؟ ام هي مشروع خاص بهم كان وما زال مستمرا بذات الاسلوب وبذات الطريقة التقية السياسية واظهار خلاف ما يخططون وخلاف ما يفكرون.. ألم يغدروا بالسادات بعدها بسنوات عديدة وهو الذي فتح لهم الابواب وقربهم ومكنهم حتى تمكنوا منه، ولعلنا نستذكر هنا ما فعلوه بالمملكة العربية السعودية وهي التي احتضنت جماعاتهم في زمن اطلقوا عليه (المحنة الكبرى) وأنفقت عليهم الملايين وقربتهم وآمنتهم من جوع ومن خوف فتسلموا الوظائف العليا والمراكز المهمة في التعليم وفي غيرها من المؤسسات.. فماذا كانت النتيجة التي اختصرها وزير الداخلية السعودية سمو الامير نايف بن عبدالعزيز حين قال لجريدة السياسة الكويتية في ٢٣/ ١١/ ٢٠٠٢ (جماعة الإخوان المسلمين هم اساس البلاء في العالم العربي). ونعود الى الوراء قليلا في نهاية الاربعينيات فبعد اغتيال سليم زكي مدير أمن القاهرة آنذاك، واغتيال رئيس محكمة الاستئناف برصاص الإخوان المسلمين كما تذكر الوثائق الرسمية والشعبية والتاريخية تنفجر عشرات القنابل الإخوانية في مباني القاهرة ومدينة الاسكندرية وفي نفس العام ضبطت السلطات البوليسية سيارة عسكرية تابعة للاخوان المسلمين تحمل بداخلها جميع الوثائق التنظيمية للجهاز العسكري الخاص الذي كان يخطط للانقلاب على الملك الحليف فاروق.. فهل تريدون المزيد من شواهد الخطر المسكوت عنه لدى (اخوة يوسف) لا (اخوة الاسلام) انه التاريخ يا سادة فهل يعتبر المعتبرون وما قدمناه هنا مجرد عناوين سريعة تكفي لإعادة طرح السؤال بشأن طبيعة واسلوب هذا التنظيم السري الذي يعلن خلاف ما يبطن والذي يعمل وفق اجندة اسلاموية خاصة به من اجل انجازها وتحقيقها ينكل ويغدر اول ما يغدر بحلفائه وبمن اولوه ثقتهم.. فهل يعتبر المعتبرون؟ وهل يعودون للتاريخ القريب لقراءة سيرة خطر اخوة يوسف لا اخوة الاسلام كما يدعون .